

الرواية الرحلية العربية المعاصرة من التعريف إلى التصنيف،

-إشكالية الانتماء والتجنيس-

The contemporary Arab travel novel from definition to classification

-The problem of affiliation and naturalization-

طالب دكتوراه / منصر أمير.

الدكتور: كمال بولعسل.

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر).
مخبر بحث الدراسات الاجتماعية-اللغوية، الاجتماعية-التعليمية والاجتماعية-الأدبية،
جامعة جيجل .

amir.menaceur@univ-jijel.dz

تاريخ القبول: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2021/01/23

تاريخ الإيداع: 2020/10/10

ملخص:

نروم من هذه الدراسة، الكشف عن نمط جديد من أنماط الكتابة الروائية، نصطلح عليه بـ "الرواية الرحلية"، وهو نوع أدبي نثري (هجين) يستمد ثيماته الجمالية من أدب الرحلة، وتزاحم فيه الخصائص الأسلوبية التي تحكم جنس الرواية. وتكمن قيمة هذا النوع في كونه يطرح على مساحة الدراسة أهم القيم الحضارية والمشكلات الإنسانية التي عاشها ويعيشها الإنسان العربي، خاصة في علاقته مع هويته وحضارته، وأنساق تفاعل هذه الهوية والحضارة مع هويات أخرى.

الكلمات المفتاحية: النسق، الرحلة، الرواية، أدب الرحلة، التجنيس، الرواية الرحلية.

Abstract:

We seek this study to uncover a new style of novel writing, we call it "the Travel novel". It is a literary type (hybrid) that derives its aesthetic themes from travel literature, And it collected the stylistic characteristics that govern the genre of the novel. The value of this type lies in the fact that it presents to the area of study the most important civilizational values and human problems that the Arab person has lived and lives, especially in his

relationship with his identity and civilization, and the modes of interaction of this identity and civilization with other identities.

key words: Layout, travel, novel, travel literature, naturalization, travel novel.

1. مقدمة:

لقد شكل الإبداع الأدبي عبر التاريخ حالة من الغموض الدلالي المستفزة للقارئ، وذلك بما يثيره من إشكالات عديدة، تتموضع على مستوى جنسه وشكله ومضمونه، ما دعا إلى إحاطته بالكثير من مناهج القراءة وتحليل الخطاب/النص، قصد فهمه وتفسير آليات بنائه وتشكيله وإدراك الأطر الجمالية التي تحكمه، وكذا إبراز دوره في العمليات التعليمية والمعرفية. ولعلنا في هذا السياق من الطرح نجد جنس "الرواية" عامة، و"الرواية الرحلية" خاصة كجنس أدبي، يستمد ثيماته الجمالية من "أدب الرحلة"، قد امتاز بفرادته الفكرية وخصوصيته الإبداعية وانتمائه الجغرافي والحضاري، وكذا بطابعه الإشكالي، القائم على تجاوزه لنطاق المعرفة الإنسانية الواحدة، وذلك لمزجه بين الرواية كفن سردي جمالي تعبير، والجغرافيا كعلم تقويي وصفي. وتكمن قيمة هذا النوع من السرد في كونه يطرح على مساحة الدراسة أهم القيم الحضارية والمشكلات الإنسانية التي عاشها يعيشها الإنسان العربي، خاصة في علاقته مع هويته وحضارته، وأنساق تفاعل هذه الهوية والحضارة مع هويات أخرى.

ومهما يكن الأمر فإن ما يعنينا بخصوص هذا المقال هو محاولة الكشف عن ماهية هذا الجنس الأدبي الروائي الرحلي إن صح التعبير، مشيرين إلى بعض الخصائص التي تميزه عن غيره من مثيلاته في السرد، -من خلال تسليط الضوء على بعض النماذج الروائية-، وقد أثرنا من خلال هذا الموضوع جملة من الإشكالات الجوهرية، لعل أهمها: "ما هي المحمولات الاصطلاحية لمفهوم الرواية الرحلية؟ وكيف يمكن موضعيتها ضمن خارطة الأجناس والأنواع الأدبية؟، وإلى أي مدى يمكن الكشف عن واقع هذا النوع من السرد في الأدب العربي المعاصر؟.

2. الإشكالية الدلالية (مفاهيم نظرية):

1.2 أدب الرحلة (من التعريف إلى التجنيس):

عُرف الإنسان منذ القدم بحبّه وشغفه للترحال، "وكل هذا الترحال قد بدأ ضيقاً، ثم اتسع على مر الزمن، فالإنسان وُلد راحلاً مرتحلاً، وإن أعجزته الرحلة الفعلية لبعد المسافات ومشقات التنقل والطرق، فقد تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مثبتاً في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلاً في الحروب والفتوح القديمة"¹، وذلك لما استدعته الحاجة للبحث عن الظروف المعيشية الملائمة والمناسبة له.

وقد استطاع الإنسان الأول منذ البداية أن يفكر في جوانب أخرى لِرِحْلَاتِهِ، "فالرحلات منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات، ومعارف وعلوم، إنها خزائن تحفل بالمادة الثرية، لا في مجال الجغرافيا أو التاريخ، وحسب، بل تُلمّ بالحضارة وتمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور"². وبما أن الإنسان تواق بطبعه إلى المعرفة وارتياح المجهول، فقد ولد هذا التفكير في ذهنه أسئلة واستفسارات كثيرة قادته إلى ولادة فن جديد من الفنون الأدبية المختلفة ألا وهو "أدب الرحلة".

يعتبر "أدب الرحلة" (Littérature de voyage) (أو أدب الرحلات عند بعض الباحثين*)، من الفنون الأدبية الشائعة لدى العرب منذ القديم، والواقع أن هذا الفن "موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى سابقة لهم، كالفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق، وغيرهم، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقاً ومغرباً أمثال: ابن جبير، ابن بطوطة والإدريسي وغيرهم... إلخ، إذ نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة، وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب المختلفة"³.

2.2 أدب الرحلة (إشكالية المصطلح):

إن مسار الكشف عن مدلول مصطلح أدب الرحلة، يحيلنا قصراً إلى القاعدة البلاغية في علم المصطلح، التي ترى، أنه ليس من السهل عرض مفهوم عام لأي مصطلح، بكيفية تسمح لنا ببناء تصور موحد وثابت له، بعيداً عن الاختلافات في الرؤى التي مردها الاختلاف في المشارب والأفكار والتوجهات التي أنتجته، وهذا على المستوى العام لأي بحث.

والتأمل في مصطلح أدب الرحلة في بداية الأمر يدرك حالة التشظي الدلالي الذي يحتوي هذا المصطلح، ذلك أن الجمع بين الفنون بل وحتى الآداب المتماثلة في طابعها الثيماتكي، يقتضي في بداية الأمر إيجاد حلول مبدئية لصعوبة التأليف بين خصائصها، والتي قد تتعارض في بعض الأحيان، فكيف إذا يمكن التسليم بتجنيس الرحلة مع الأدب؟.

إن مصطلح أدب الرحلة وكغيره من المصطلحات الأدبية النقدية يحتل مقام الاستعصاء وعدم الامتثال إلى أي تحديد قار، يُسَلِّم له كل اقتراب قرائي لمدلوله سواء كان نقدياً أو معجمياً. وفي هذا السياق يقول الدكتور "كمال بولعسل" في دراسته الموسومة بـ (سيمائية الفضاء في رحلة أبو حامد الغرناطي)، "إن الناقد المقتحم لهذا الفضاء المعرفي/الأدبي سوف يقف حائراً أمام هذا النص الإشكالي الذي يمتنع عن التصنيف والانكشاف النقدي، ولعل الحاصل إلى حد الآن هو أن أدب الرحلة كان محل نزاع بين عدد من الباحثين في اختصاصات مختلفة، يتضمنها هذا الخلق الأدبي، كعلماء الجغرافيا والأنثروبولوجيا والاثنوغرافيا... إلخ.

الذين حاولوا تمزيق هذا النص قطعاً لصالح مناهجهم واختصاصاتهم، في محاولة فهم الشعوب والحضارات القديمة، واكتشاف أنماط العادات والتقاليد الاجتماعية والأساليب الثقافية والعقائدية في المجتمعات التي اخترقها الرحالة العرب المسلمون، مؤلفو هذه الرحلات⁴.

ورغم هذا الشتات إلا أننا سنحاول تقديم بعض المفاهيم التي تحتوي هذا المصطلح، جاء في معجم المصطلحات العربي في اللغة والأدب لـ "مجدي وهبة" أن أدب الرحلة هو "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة. حيث يتعرض فيها على ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد، ويعتبر أدب الرحلات إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية -أحياناً- مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة، والاجتماعية التقريرية"⁵.

والملاحظ على هذا التعريف أنه يحصر أدب الرحلة في نسق الوصف أي في "تلك المؤلفات التي تتحدث عن مغامرات واقعية قام بها الرحالة، وتعرف من خلالها على أحوال البلاد التي زارها، وعادات أهلها، وسلوكهم والتي تركت في نفسه انطباعات عدة نقلها لنا من خلال مؤلفه. ذلك أن الرحالة وهو يجوب مختلف الأقاليم يتأثر بما يلاحظه ويسمعه من مظاهر مختلفة"⁶.

أما "ناصر موافي" فيذهب في تعريفه لأدب الرحلة إلى حد القول بأنه "ذلك النثر الذي يصف رحلة -رحلات- واقعية، قام بها رجال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه وعليه"⁷.

في حين يعرفه "سعيد العلوي" بكونه، "جنساً أدبياً له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية، كونه خطاباً مخصوصاً له منطقته الذاتي وبنائه ومكوناته وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، والإمتاع لما يرصد لنا ما هو عجيب، الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص فهو يفيد القارئ من جهة، ويمتعه من جهة أخرى بما يتضمنه من مشاهد وحقائق جديدة"⁸، غير متعارف عليها في السابق لدى القارئ.

ومن خلال هذه التعريفات المتعددة الجوانب يمكننا جمع معطاً واحد وهو، أن أدب الرحلة "لون أدبي ذو فائدة للباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، كما أنها في الوقت نفسه يمثل المتعة التي استهوت أذهان القراء والباحثين، أما بالنسبة للرجال فهي تجربة إنسانية حية يتمرس بها، حيث يصبح أكثر فهماً وأصدق ملاحظة وأغنى ثقافة وأعمق تأملات"⁹. فينقل للقارئ مشاهداته وانطباعاته التي تركتها فيه الرحلة، بأسلوب جمالي وفني راقٍ.

وبعيداً عن الجانب المفهومي لا بد من النظر في خصائصه الكتابية وسماته النوعية التي تميزه عن غيره من الأنواع الأدبية الأخرى، وذلك على مساحة ما يطرح من تخصيص أسلوب في الكتابة، والمضمون المنقول إلى القارئ. فنجد أسلوب الوصف طاغياً على الكتابة الرحلية بروح جمالية، تتأتى قيمتها "من أنها تصور لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تركها في نفسه، ناسه وحيواناته، ومشاهده الطبيعية وأثارها، فهي بذلك مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنة جديدة، وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد. فالرحلة إذن ليست سوى تجربة إنسانية حية يتمرس بها (الكاتب) ويجعل التعرف إلى دقائقها واستكناه خفاياها وكده، فيخرج منها أكثر فهماً وأصدق ملاحظة وأغنى تأملاً. وهي تتطلب منه عقلاً حساساً مرناً سريع التأثر والتكيف والاستجابة، بوسعه أن يدرك معاني المراثيات وأن يحللها إلى خصائصها الأساسية ويقدر قيمتها حق تقديرها. وكلما كان الكاتب عميقاً في إحساسه دقيقاً في تصويره، ازدادت متعة القارئ بما يقرأ ومحاولته إعادة تشكيل التجربة التي مر بها الكاتب في نفسه"¹⁰.

3. من أدب الرحلة إلى الرواية الرحلية (النشأة، التطور، الانتقال):

احتلت الرحلة في شكلها العام مكانة متميزة في التراثين العربي والغربي -على حد سواء- وقد أثبت هذا الأمر من طرف الباحثين والدارسين، وفي كثير من الدراسات الحديثة، إذ كرس لها مجهودات كبيرة في سبيل معرفة أصولها والكشف عن أسرارها. متجاوزين في ذلك الاختلافات الحضارية والتنوعات الأيديولوجية التي شكلت كل نمط رحلي عن الآخر، يحثهم في ذلك محاولة الخروج من دائرة المفهوم الضيق الذي اكتنف الرحلة منذ البداية كوسيلة أو لنقل كآلية للحركة والانتقال دون هدف أسمى.

وبناءً عليه سنحاول في هذا الجزء من الدراسة تتبع الرحلة العربية: نشأتها، وتطورها من حيث هي شكل للتنقل الخام، ثم المراحل التي مرت بها حتى أمست نصاً مدوناً، وأثراً أدبياً قائماً بذاته، وغاية في ذاته، وانتهاءً إلى مرحلة التغيرات في المنظومة الثيماتية/الموضوعاتية، ممثلة في آلية التجنيس التي شكلت موضوع هذا البحث، وأعني هنا الرواية الرحلية العربية المعاصرة.

اتفق الباحثون العرب والغرب*، -على حد سواء- على أن الرحلة العربية وتحديد أدب الرحلات العربية، قد مرت من ناحية تأطيرها وتطويرها إلى شكل أدبي تعبيرى مدون "بأطوار متعددة، حتى بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وهو ازدهار أدت إليه عوامل كثيرة، كان أهمها ازدهار الحضاري في القرن نفسه، هذا ازدهار الحضاري العام وازدهار الرحلة بشكل خاص، أملى على أصحاب الرحلة الناهيين أن يدونوا وقائع رحلاتهم، يحدوهم إلى ذلك أسباب متعددة"¹¹.

حيث انقسم نتاج الرحلات العربية إلى أقسام عدة، تعددت بتعدد أسبابها، ويمكن وفق ما تقتضيه الدراسة، اختزال هذا التعدد في ثلاثة أقسام رئيسة شكلت محاور هذا الفن:

أ- "جغرافيا وصفية، يسيطر عليها المنهج العلمي.

ب- أدبي جغرافي، يوازن بين المنهج العلمي، والأسلوب الأدبي.

ت- أدب رحلات، يمثل الأدب فيه محور الانتباه -وإن لم يخل من الجانب العلمي الذي يرد في صورة غير مباشرة-.

لقد توزعت النصوص التي تتناول الرحلات العربية على هذه الأقسام الثلاثة، وكان النتاج كبيراً من حيث الكم، وثرياً من حيث الكيف"¹².

ففي البداية عرف العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي الأول (أي حوالي 150 سنة قبل ميلاد النبي الكريم)، فقاموا برحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق، والشام، واليمن، ومصر... إلخ، وغيرها من البلدان، والتاريخ يشهد على هذا فقد "كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة، خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصاً و شاملاً أو جامعاً، اللهم إلا ما ورد متناثراً في قصائد الشعر"¹³. وهذا مصداقاً لما تبين لنا من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رحلة الشتاء والصيف﴾¹⁴، فكانت الرحلتان المذكورتان في نص الآية إحداهما إلى اليمن في فصل الشتاء وذلك لمناخها الحار، والأخرى إلى الشام صيفاً لبرودتها في ذلك الفصل.

إلا أن هذه الرحلات لم تتخذ بُعداً شكلاً أدبياً للرحلة بمعناه الحقيقي، وإنما كانت أحد العناصر الأساسية والرئيسية التي ساهمت بشكل أو بآخر في تشكله وبناءها.

أما في العصور اللاحقة فقد كان لنشر الإسلام الأثر الأكبر في انتشار الرحلات في الأواسط العربية، حيث اتخذت الرحلة منحاً آخر "فإذا كانت أغراض الرحلة قبل الإسلام التجارة عموماً، فإنها اتخذت لها بعد الإسلام طابعاً جديداً في دوافعها التي بدأت تتعدد ومقاصدها المتطورة جداً، ثم في شكلها المتميز أدبياً وعلمياً، بصفتها عملاً مدوناً ذا طابع فكري-علمي، بجوانبه التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية، وهي جوانب تختلف حظوظها في الرحلات بحسب الكاتب وهدفه وطريقة تعبيره في صياغة رحلته"¹⁵. فقد قام الخلفاء على اختلافهم بإرسال المبعوثين بهدف وصف البلدان التي فتحتها الجيوش الإسلامية، وما دعاهم إلى ذلك كان "الحاجة إلى جمع المعلومات والحقائق، وتقديم التقارير والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام، وأصبحت جزءاً من عالمه"¹⁶. وهو ما يسميه حسين محمد فهيم بـ "التكليف"

أو الرحلة التكليفية"¹⁷. ومن هذا النمط الرحلي تفرعت أنماط رحلية أخرى لعل أشهرها كان الرحلات التعليمية الإسلامية.

بالإضافة إلى تشكل ما يسمى بالرحلات الدينية، عن طريق الحاجة الملحة إلى اختيار طرق آمن للحج إلى بيت الله الحرام، وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق. إضافة إلى ظهور الحملات الصليبية التي كان لها الدور الأكبر والحظ الأوفر في تأطير استراتيجيات عسكرية إسلامية جديدة، تواكب الحالة المتوترة بين العالم الإسلامي والصليبي (المسيحي)، الأمر الذي أدى إلى بروز ما سمي لاحقاً برحلات التجسس، والتي اعتمدت على مبدأ إرسال جواسيس إلى بلدان الأعداء قصد جمع المعلومات والمعطيات، وتقديم التقارير عن الجيوش والاستعدادات للحروب والغارات. "وكل ذلك في القرن السادس الهجري، وهي فترة من أدق وأحرج الفترات، التي مر بها المشرق العربي الإسلامي. فترة الجهاد المقدس ضد الصليبيين بقيادة القائد صلاح الدين الأيوبي"¹⁸.

أما من ناحية الاستقصاء التاريخي المفصل، -وذلك بعد سردنا لما للعصور السابقة من فضل في إثراء الذخيرة النوعية للرحلة-، فقد كانت الانطلاقة الفعلية للرحلة كفن أدبي عربي مُدَوّن بارز في الساحة الأدبية والفنية بشكل خاص، ابتداءً من القرن الثالث للهجرة (03هـ/09م) بجهود كوكبة من رحالة وجغرافيين هذا العصر البارزين، أشهرهم: "محمد بن موسى المنجم (ت259هـ)، سلام الترجمان (ت227هـ)، سليمان التاجر (ت237هـ) الذي يعد رائد أدب الرحلات البحرية، ابن وهب القرشي (ت256هـ)، ابن خرداذبة (هـ300)، ابن رسته (ت290هـ)، ابن الفقيه (ت290هـ)"¹⁹.

وإلى جانب هؤلاء الرحالة سطع نجم شخصية أخرى، وهو المسمى ب: البيهقي (ت284هـ) صاحب كتاب البلدان، هذا الذي نال عناية الكثير من الدارسين والباحثين، إذ حظي وعلى غرار الكثير من الرحالة الذين عاصروهم "بقدر كبير من الاحترام -لدى الباحثين- لأمانته العلمية ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب، حيث قام برحلات كثيرة امتدت شرقاً إلى الهند، وبلغت أقصاها غرباً برحلته إلى بلاد المغرب والأندلس"²⁰.

ثم إذا ما انتقلنا إلى القرن (04هـ/10م)، فإننا نجد شبه اجماع بين الباحثين على أن الرحلة في هذا القرن قد "شهدت ازدهاراً لم تعرفه في القرون السابقة أو اللاحقة، حتى أن أسس أدب الرحلة وضعت فيه، كما أن كتب الرحلات التي ألُفت فيه كانت الأساس الذي قامت عليه الأعمال التالية، سواء في الأدب أو الجغرافيا أو الموسوعات أو المعاجم المتخصصة"²¹.

ومن أهم رحالة هذا القرن، نجد بعض المدونات الدالة عليهم ك: "صور الأقاليم لأبوزيد البلخي (ت322هـ)، رحلة ابن فضلان لأحمد بن فضلان (ت309هـ)، المسعودي (ت346هـ) وذلك من خلال كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، صورة الأرض أو المسالك والممالك لابن حوقل المقدسي (ت331هـ)، بالإضافة إلى عجائب البلدان لمسعر بن مهمل والمعروف بأبودلف (ت385هـ)"²²، حيث جمع هؤلاء في مؤلفاتهم ما "بين المادة التاريخية والجغرافية والإطار الأدبي الفني. كما شكلوا ما يسمى بالمدرسة الكلاسيكية للجغرافيا العربية"²³.

ونجد أيضاً "البیروني (ت440هـ)"، الذي مثل نقطة تقاطع بين القرنين (404هـ-10م/5هـ-11م) وذلك من خلال كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، "فهو ليس كتاباً في الرحلات أو الجغرافيا فحسب، وإنما يتضمن أيضاً آراءً في الدين والفلسفة والتاريخ، وهو ما دفع بالأدب الجغرافي خطوة مهمة إلى الأمام"²⁴. الأمر الذي يجعل منه أقرب إلى مصنفات البحوث العقلية منه إلى المصنفات الجغرافية.

أما في منتصف القرن (5هـ/11م)، فقد "شهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد؛ حيث يحتل هذه الصفحة، بعض رحالة وجغرافيين المغرب الإسلامي، إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم على استحياء بعد أن كان قاصراً على المشرق، منهم أحمد بن عمر العذري بكتابه نظام المرجان في المسالك والممالك، إلى أن نصل إلى أبو عبيد عبد الله الباري (ت487هـ) أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن، وله كتابان المسالك والممالك، ومعجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع، والأخير يعتبر أول معجم جغرافي"²⁵.

وإذا ما تجاوزنا هذا القرن وتحديدًا أواخر القرن (6هـ/12م)، وجدنا هذه المصنفات الجغرافية سرعان ما أخذت تتغير لتواكب الحاجة التي فرضها الواقع (العصر)، لتتسم بطابع "التنسيق الأدبي للمواد الواردة في المصنفات المتقدمة. وبدأ بعد ذلك نمط آخر ينال القبول لدى الجمهور، ذلك هو وصف الرحلات، إلا أنها لم تدون على هيئة كتب المسالك المعروفة لنا، بل دونت على هيئة مذكرات يومية (السيرة) مع تفاوت في الدقة فيما يتعلق بتدوينها من يوم لآخر"²⁶.

وحدث هذا الشكل من التغيرات في نمط الكتابة والتأليف حين "غير الرّحّال نمط كتابته، فبعد أن كان اهتمامه منصبا على تسجيل الجوانب الجغرافية المتعلقة بالبلدان التي زارها، تحول نحو سرد تجربته، وذلك بذكره لكثير من خصوصياته، مشاعره، أفكاره، وانتقاداته، مع تحول في الطابع الأسلوبي للكتابة إذ أصبح أسلوباً سردياً، وقصصياً، يتسم بالبساطة والسلاسة، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي"²⁷.

ومن هؤلاء الرحالين نذكر في البداية "مؤسس أدب الرحلة في الأندلس والمعروف بأبو بكر بن العربي (ت542هـ) صاحب كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، ثم يليه الإدريسي (ت560هـ) من خلال كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وأبو حامد الغرناطي (ت565هـ) صاحب كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، وابن جبير (ت626هـ) برحلته المعنونة تذاكر الأخبار عن اتفاقات الأسفار، والمعروفة كذلك برحلة ابن جبير"²⁸. مثل هؤلاء الرحالة من خلال مؤلفاتهم، الاتجاه الأدبي أبلغ تمثيل، إذ اهتموا بالصياغة الأدبية إلى جانب المعلومات التاريخية والجغرافية. وقد جاء بعدهم رحالة وبخاصة خلال القرن (108هـ/14م)، حيث قطعت الرحلة الأدبية العربية في هذا القرن، شوطاً كبيراً في مستواها الأدبي، مع بعض الرحالة أمثال: "محمد بن إبراهيم المعروف بابن بطوطة (ت776هـ) الذي يعدّ من أشهر الرحالين شرقاً وغرباً، بكتابه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ثم رحلة عبد الرحمن ابن خلدون، التي دونها في مؤلفه التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً. رحلة الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي وهو الرحالة الذي يمثل نهاية المرحلة الأولى من مسار أدب الرحلة من خلال مؤلفه وصف أفريقيا"²⁹.

أما في العصر الحديث وذلك مع بدايات القرن (13هـ/19م)، فقد عرفت الرحلة الأدبية العربية خطوة جديدة كانت منعرجاً حقيقياً ساهم في تغيير مسارها، وكان ذلك الأمر عند "احتكاك الرحالة العرب بالحضارة الغربية، وما نجم عن هذا الاحتكاك من مؤثرات صدمت الذهنية العربية والمجتمع العربي، وأدت إلى صراع سياسي واقتصادي وفكري وحضاري لايزال من الأسباب التي تقلق الهوية العربية حتى اليوم"³⁰. ولعل أهم ما شهده أدب الرحلة في هذه المرحلة هو تغيير اتجاه الرحلات من المشرق والمغرب العربي إلى أوروبا والغرب كافة، "وهذا مرجعه التقدم الكبير الذي أحرزه الغرب خاصة بعد الثورة الصناعية، وتحديث أساليب العمل والإنتاج، وإقامة دور العلم الكبرى، فلم يعد طالبو العلم يشدون الرحال إلى بغداد ودمشق والقاهرة، كما كان العهد في الماضي، وإنما أصبحوا جميعاً ينطلقون إلى باريس ولندن، وغيرهما بمرور الوقت"³¹.

والواقع أن الاختلاف الحاصل في وجهة الرحلة بين أدب الرحلة في شكله التقليدي والحديث، قد صاحبه -كذلك- تغيير في الموضوعات المطروحة، إذ "صار هذا الفن النثري العربي، بسماته التاريخية والجغرافية، مهتم بدراسة حياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم. وهو ما تجسد في مضمونه الفكري والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز"³²، الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال، دون أن ننسى الجانب الإثنوغرافي، ليكون بذلك أدب الرحلة الحديث "مصدراً لوصف

الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة³³.

وبالنسبة إلى هذا الوافد الغريب على البيئة العربية (الحضارة الغربية)، فقد تفاعل الرحالة العرب معه بتحفظ كبير، وفي مقدمتهم نجد من المشرق العربي "رافع رفاع الطهطاوي الذي قام برحلة نحو فرنسا بين عامي (1826-1831م)، حيث نقل لنا الطهطاوي ملاحظاته الباريسية في كتاب سماه تخلص الإبريز في تلخيص باريز"³⁴. كما كان للمغرب العربي حضور قوي ودور فاعل في إثراء هذا الفن بجهود بعض الرحالة، أبرزهم "خير الدين التونسي-باشا- الذي قام هو الآخر برحلة نحو أوروبا وذلك سنة (1853م) -بتكليف من الداي حاكم تونس-، والتي نقل لنا من خلالها مظاهرها عشرين (20) بلداً أوروبياً، في مؤلفه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"³⁵.

وإضافة إلى جانب رحلات الطهطاوي والتونسي برزت "رحلتي سليمان بن صيام والمعروفة بالرحلة الصيامية سنة (1852م)، ورحلة أحمد ولد قاد سنة (1878م)، اللتان كانتا باتجاه فرنسا"³⁶، أما "أحمد فارس الشدياق (1887م)، فقد كانت رحلاته مغايرة في نسقها الرحلي عن الطهطاوي والتونسي، ولكنها اشتركت في الغاية والهدف، فنجدته تارة يرتحل إلى مالطة وأخرى إلى بريطانيا ثم إلى فرنسا، ليجمع في نهاية الأمر أخبارهم في كتابين سماهما الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوروبا"³⁷.

إن جل ما قدمه هؤلاء الرحالة دون النظر إلى الاختلاف الجغرافي الذي احتوى كل واحد منهم -وأطر المنظومة الفكرية والتكوينية التي شكلت ذواتهم (وهنا أقصد المشرق والمغرب)-، يدفعنا إلى فكرة واحدة وهي؛ أن إحتكاكهم بالحياة الأوروبية، وإفرازات الثورة الفرنسية، قد أتاحت لهم فرصة ملاحظة الفرق الشاسع والهوة الحضارية الموجودة بين المجتمع الغربي المتحضر والمجتمع العربي المتأخر حضارياً. حيث اقترحوا الأخذ من إيجابيات الغرب، مع الإصرار التام على وجوب مراعاة سمات الاختلاف الحضاري والتغاير الديني الذي هيمن بشكل مباشر على الثقافة الأوروبية والعربية الإسلامية، وأدى في بعض الأحيان إلى قطيعة إبستمية ومعرفية في أشكال التفكير والمعتقدات. لذلك رفضوا -وهو ما برز في مؤلفاتهم-، ما يتعارض مع الإسلام، خوفاً من الانزلاق في هاوية الانصهار والذوبان في الآخر الغربي، ذلك الآخر الذي وصفه "الطهطاوي" بكونه مرآة عاكسة لـ "ديار كفر وعناد بعيدة عنا غاية البعد"³⁸.

ومن هذا المنطلق كان الداعي إلى تأليف مؤلفاتهم أمران، "أحدهما: إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم، بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال

الأمة الإسلامية، وتنمية أسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان. ثانيهما: تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحمد من سيرة الغير، الموافقة لشرعنا"³⁹.

ورغم ما قدمه هذا العصر من مؤلفات، خاضت غمار الكشف عن المضمهر الحضاري، بجهود جهابذة العصر، ناحين في ذلك منى الإصلاح والتوجيه وإعادة الهيكلة التي مست جميع أواسط المجتمع العربي، متوسلين رياح النهضة الغربية والتكنولوجيا الحديثة لتحقيقها، إلا أن هذا التحديث لم يقف عند مجال دون آخر وهو ما نلمح تجلياته في الأدب وبخاصة فن أدب الرحلة، الذي أمسى تتجاذبه علوم كثيرة، جعلت الوقوف على قراءة قارة لجنسه يعد في بعض الأحيان مجازفةً، وذلك لما احتواه من كرنفالية جمعت الكثير من العلوم والفنون معاً. "فإذا كان التحديد الأجناسي (لأي نوع) لا يستقر إلا من خلال ما تستنبطه القراءة التاريخية لتراكمات نصية ضمن أنساق محددة في مجال فني معين، فإن أدب الرحلة باعتبار موقعه العبر-نوعي العائم على تخوم أكثر من جنس أدبي يظل معضلة جنسانية مستحكمة، ذلك أننا نقرأ أدب رحلة في قصيدة شعرية مطولة كرحلة الورثلاني مثلاً، ونقرأ أدب رحلة تقترب من فن السيرة الذاتية، وأخرى تقترب من المقال الصحفي كالرسائل الحميمية لإزرايل إبرهارة، وهناك أنماط منها تقترب من الشعر التعليمي، وهو ما يجعل من تحديدها الجنساني الأدبي متحركاً متغيراً بتغير الوظيفة التي يؤديها، مما يؤدي بالضرورة إلى تغير في الشكل الإبداعي الذي يظهر به أدب الرحلة في أكثر من تجلٍ"⁴⁰.

وعلى مستوى هذا الطرح الأركيولوجي لتحول الرحلة من شكلها البدائي مروراً بكونها فناً أدبياً مدوناً، وانتهاءً بحالة التغير التي مسته موضوعياً، يتكشف لنا على الساحة الأدبية الإبداعية في عصرنا هذا، نمط جديد لأدب الرحلة العربي، نمط يستمد -كغيره من الأنماط الرحلية- ثيماته الجمالية والثقافية من أدب الرحلة، إلا أنه يمتاز -في تكوينه- بتزاحم الخصائص الفنية والأسلوبية التي تحكم جنس الرواية، وهو ما نصطلح عليه بمسمى "الرواية الرحلية العربية المعاصرة".

فكيف يمكن قراءة المنظومة الاستيمية التي تحتوي مصطلح الرواية الرحلية؟ وكيف يمكن موضوعة هذا النمط الحديث ضمن خارطة الأجناس والأنواع الأدبية؟

4. الرواية الرحلية من الماهية إلى الإنتماء:

إن التعريف هو مدخل كل تصنيف، لذا لابد من الإشارة إلى بعض المفاهيم التي تحتوي المنظومة الفكرية والاستيمية لمصطلح الرواية الرحلية، وذلك كمحاولة منا لكشف ماهية هذا

النوع من الكتابة الإبداعية الأدبية وتحديد معالمه العامة، والتعرف على السمات الجوهرية والخصائص النوعية المميزة له عن غيره من الأنواع الأدبية المتاخمة له والمتماسكة معه.

يمكن أن ننطلق في بداية الأمر من تعريف "عبد الملك مرتاض"، للرواية بشكل عام، وذلك في قوله: "إن الرواية شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول، كاللغة والشخصيات، والزمان، والمكان، والحدث؛ يربط بينها طائفة من التقنيات، كالسرد، والوصف، والحبكة، والصراع؛ وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السينمائي؛ بحيث تظهر شخصياتها -الروائية- من أجل أن تتصارع طورا، وتتحاب طورا آخر؛ لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية، وعناية شديدة"⁴¹.

والواقع أن هذا المفهوم، يقدم جملة من الخصائص العامة المنهجية والمضمونية، التي تميز جنس الرواية عن باقي الأجناس الأدبية، -بل والهجائن النوعية أيضاً-، والتي يمكن أن نجعل منها توطئة تمهيدية للولوج إلى مقارنة مثل هذا النوع الأدبية الحديث نسبيا على ساحة الدراسات الأدبية، وهذا ما يسعى بالقراءة الإسقاطية، أي أن نبني على أساس هذه الخصائص بعض مظاهر التفرد الأجناسي في الرواية الرحلية العربي المعاصرة (أن نسقط بعض الأحكام القيمة والاستنتاجات النقدية عليها)، باعتبارها أولاً وقبل أي شيء تنتمي إلى جنس الرواية، ثم إلى البنية السردية التي يمتاز بها فن أدب الرحلة بشكل خاص -وهو الأمر الواضح في التسمية-.

إن هذا النمط الروائي الرحلي إن صح التعبير، هو نوع أدبي ثري جديد (هجين)، تشكل بفعل عملية التجنيس السردية التي طالت فن أدب الرحلة وجنس الرواية معا. ليقدم لنا نمطاً يمتاز بفرادته الفكرية وخصوصيته الإبداعية وتلبسه بالبيئة الحضارية التي ينشأ فيها، وكذا بطابعه الإشكالي، القائم على تعديه لنطاق المعرفة الإنسانية الواحدة، وذلك بين الرواية كفن سردي جمالي تعبيرى، والجغرافيا كعلم تقويى وصفى.

وتكمن قيمة هذا النوع من السرد في كونه يطرح على مساحة الدراسة أهم القيم الحضارية والمشكلات الإنسانية التي عاشها ويعيشها الإنسان العربي، خاصة في علاقته مع هويته وحضارته، وأنساق تفاعل هذه الهوية والحضارة مع هويات أخرى.

ولعل الدافع الأكبر لظهوره هو ما يمكن تسميته بـ "حالة الإفلاس السردى لأدب الرحلة"، ومعنى هذا أن أدب الرحلة لم يعد قادراً -سردياً- على تلبية حاجيات الطروحات السوسيو-أدبية الحديثة، وإن أمكن قراءة هذا القصور فقد يكون ناتجاً عن ضعف المنظومة التيماتية التي يعتمد عليها في الطرح، أو بسبب الآليات الإجرائية التي يتوسلها لإتمام عملية التواصل مع المتلقي. والشاهد على هذا أن "الرحالة في العصر الحديث لم يعودوا يولون أهمية لوصف

الشخصيات ومجالات حياتهم -كما كانوا في السابق- بل أعطوا أهمية لما ارتقت إليه البلدان الحديثة من تطور حضاري وفكري وثقافي وتكنولوجي وعلمي، وهذا التطور قد عاد بالضرورة على الإنسان بالنفع والفائدة، وهذا ما جعل الرحالة يعنون بهذا النوع الجديد من الرحلات⁴²، في كتاباتهم الرحلية، وذلك "بألوان السلوك والقيم الجديدة المستندة إلى أساس حضاري وعلمي، وفي محاولة لنقل صورة الإنسان الجديد، الذي تستلزمه حضارة العصر الحديث"⁴³.

وهنا يتجلى دور الرواية في الخرج من هذه الضائقة السردية، فجنس الرواية -كما هو معروف- من أكثر الفنون الإبداعية قدرة على استيعاب تلك المنظومة الدرامية من القضايا والتحويلات، اللصيقة بضرورة الحياة وتطورها، وذلك "برصدها للتاريخ واحتواء المجتمع بكل ما يزخران به من قيم إنسانية وحضارية، بحس جمالي يتفاوت حسب براعة الروائي في امتلاك أدواته التعبيرية والتصويرية"⁴⁴. ومن هنا يمكن اعتبار الرواية -الرحلية- "جزءاً من التاريخ، ولكن هذا الجزء يستطيع في بعض الحالات استيعاب رؤية تاريخية واسعة وعميقة، لما له من قدرة على التكثيف والاختزال...، وسلطته الفنية القاهرة تجعله أحياناً نداءً للتاريخ ومنافساً له"⁴⁵.

وقد أثبتت النصوص الروائية الرحلية العربية المعاصرة حضوراً متميزاً في هذا المجال، سواء من خلال "استعارة الواقعة التاريخية والجغرافية في تخيل الحكاية الروائية الرحلية، وإعادة تشخيصها عبر تمثيل انعكاساتها على الإنسان والمجتمع وما تحمله من رؤى تزخر بأفاق متعددة. أو من خلال عرض مواقف وشخصيات إنسانية تدعو إلى التأمل والتدقيق. ولا شك في أنها استفادت بشكل أو بآخر من خصائص السرد العربي وتشكيلاته الجمالية، كما استفادت من معطيات الدرس السردى الحديث بصفة عامة"⁴⁶. في تشكيل ماهيتها بمعزل عن باقي الأنواع. أما بالنسبة لإشكالية التسمية (الرواية الرحلية العربية المعاصرة) فإننا نجد الرواية العربية -عموماً- "في وجودها ونموها عنصراً، ثم شكلاً خالصاً، ضمن دائرة منفتحة على أنواع صغرى وكبرى، هي بناء يتناسل ويتشكل باستمرار، وتكتسب بعض المميزات التي تلتقي مع بعض خصوصيات الرحلات الإنسانية"⁴⁷. ولابد في خضم هذا التناسل أن يبرز نمط جديد يكسر تراتبية الأنواع والأنماط المعروفة، نمط يجعل المألوف غريباً ولكن بأسلوب جمالي راقٍ.

وحقيقة إرفاق مصطلح الرحلة بجنس الرواية في تركيب المصطلح -الرواية الرحلية- يضع بعض الضوابط المنهجية والشكلية، التي تحكم كلا المصطلحين (الرواية، أدب الرحلة)، ذاك أن كلاهما يشكل بمعزل عن الآخر، بنية ممارساتية قائمة في ذاتها، تحكمه أعراف فردانية تشكلت عبر سيرة طويلة؛ من القراءة والفهم والتحليل، "أعراف شكّلت الإطار العام الذي

يسمح للناقد باختيار استراتيجيته في التعامل مع كل منهما كاعتباره شكلاً تعبيرياً، سواء أكانت استراتيجية منجزة ومتشكلة في منهج نقدي واحد واضح أو بابتكار استراتيجية قرائية جديدة تمثل تطوراً لحقل النقد⁴⁸. ومعنى هذا الاعتماد غير المشروط على تقنية المزاوجة بين الآليات الإجرائية للمناهج النقدية بشكل متآلف، أو ما يسمى في الدرس النقدي الحديث بازدواجية المنهج.

والواقع أن هذا الاتجاه في التجنيس بين الرواية وأدب الرحلة يقتضي في تعامله مع الهجين (الرواية الرحلية) في بداية الأمر، "تجنيس الرحلة ضمن حقول المعرفة الإنسانية، ثم تجنيسها داخل حقلها المعرفي؛ فعندما نقول بأن الرحلة تنتمي إلى حقل الأدب يعني أنها تنتمي إلى حقول المعرفة الإنسانية، وكون خطاب الرحلة نصاً أدبياً فإن ذلك يستوجب تجنيسه داخل حقول الأدب وأنواعه"⁴⁹. وهو ما يضيف على الرحلة الصبغة الجمالية، من خلال الثيمات الأدبية ويخرجها، من نطاق الجغرافيا الوصفية إلى مساحة التعبيرات البلاغية.

وهناك بطبيعة الحال، رأي بديل في قراءة هذه المنظومة من إنتاج الأنواع، يرى أنه لا يجب أن نتعامل مع هذا الهجين بأكثر من كونه "مجرد تصنيف، نضع فيها الأعمال التي تشترك في سمات معينة. وبما أن لكل عمل سمات، فإن كل عمل -بحكم الظروف- يمكن وضعه في نوع ما. وإذا تأبى نص على الدخول في التصنيف، فهذا يعني فقط أن هناك فصيلة لا بد أن نسلم بها. وبهذه الطريقة سيكون أدب اللا-نوع Non-genre مفهوماً غير مقبول، وإذا ما تم قبوله لن يشير إلا إلى حثالة"⁵⁰. والمقصود هنا بالحثالة أي اللا-شيء، وهو كل ما لا يملك قيمة في ذاته.

فإذا لم يندرج هذا النوع الجديد (الهجين) ضمن منظومة الأجناس أو الأنواع الأدبية المعروفة التي أنتجتة فإن ذلك يعني أنه نوع فريد وهو ما يقصيه من دائرة التكرار، وليس من الضروري في رأي "تودوروف"، "أن يجسد هذا العمل الأدبي، بإخلاص، أحد الأنواع التي ينتمي إليه، بمعزل عن باقي الأنواع الأخرى التي ساهمت في تشكيله"⁵¹، ذلك أن هذا النوع الأدبي القائم بين دفتي التجنيس أو لنسمه التهجين، يتعدى الاستجابة القرائية الأحادية للمقولات النقدية، التي تحكم نوعاً واحداً فقط من الأنواع التي شكلته، إلى الاستجابة بشكل أو بآخر لكل الأنواع.

أما مدار اختلاف الرواية الرحلية عن سائر أنواع الرواية الأدبية في شكلها العام، فيقع - كما سبق الذكر - في مقام تفردتها بخاصية "الرحلة"، تلك الخاصية الفنية والدلالية التي تصنع فرادتها، وذلك انطلاقاً من كونها "نصاً للارتحال في المكان وفي الزمان، ونصاً للارتحال الدائم بين الأنساق والأجناس، لأن المرتحل (الرحالة) لا ينتقل بسفره من منطقة إلى أخرى فحسب بل

وبثقافته ونصه وأنساقه أيضاً⁵²، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور.

بالإضافة إلى توفر هذا النمط من الرواية على "مادة وفيرة مما يهتم المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع، والاقتصادي ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير"⁵³. ولعل ذلك ما جعلها "نصاً مفتوحاً على كافة الحقول بأشكال مكتملة أو جزئية، وخاضعاً لتحولات متتالية"⁵⁴ تسهم بشكل أو بآخر في بلورته، أو بتعبير "فلاديمير كرينزينسكي"، "هي رواية -بطبيعتها- متعايشة ومشاركة للتاريخ والميثولوجيا والأدب دون الحديث عن الإثنوغرافيا.. إنها إحدى النماذج الثيماتية والرمزية من الأدب الأكثر إنتاجاً"⁵⁵.

وقد قدمت لنا البيئة العربية المعاصرة الكثير من النماذج الروائية الرحلية التي امتازت بهذا النسق من الإبداع، والنمط من الكتابة الأدبية والخصائص المضمونية، سواء على صعيد البنية الجمالية والشكلية، أو الأنساق الثقافية، ومن بين تلك النماذج نذكر على سبيل المثال لا الحصر والتخصيص، رواية "عصفور من الشرق" (1938م) لتوفيق الحكيم، رواية "الحي اللاتيني" (1953م) لسهيل إدريس، رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" (1966م) الطيب صالح، رواية "شرفات بحر الشمال" (2001م) لواسيني الأعرج، رواية "عراقي في باريس" (2012م) لصموئيل شمعون،... إلخ، إذ اعتمدت هذه النماذج الفنية على المزاجية بين التقرير العلمي والإخباري، والإيحاء الفني والتخييلي بل والعجائبي أيضاً في بعض الأحيان.

لذلك يمكن النظر إلى الرواية الرحلية إنطلاقاً من ما تتوفر عليه من معطيات مكثفة بالمقارنة مع باقي الأشكال التعبيرية التراثية أو الحداثية في السرد العربي، معطيات تعمل على تشكيل حلقة وصل بين جنس الرواية أولاً وفن أدب الرحلة ثانياً، ويمكن إجمال الخصائص المجانسة بينهما في ما يلي:

أ- "التخييل الذاتي: حيث استفاد النص الرحلي من أشكال أدبية وتاريخية (الرسائل، التراجم، الأخبار...) وطعم هذا بكل ما يجعل منه كتابة تتخذ من ضمير المتكلم وسيلة لإبراز الذات والهوية مقابل الآخر والغريبة، فضلاً عما يقدمه مكون السفر والانتقال من توليدات في الرؤية وزرع لعلامات دالة باستمرار.

ب- التنوع في الأشكال الرحلية وبالتالي في الأسئلة التي تجعل منها موجه إدراكي ومنتجا لخطابات وميتا-خطابات كما هي منتجة للمعارف.

ت- التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحالة المؤلف ما بين أديب ومؤرخ وجغرافي ومصنف وسفير، وغيرها من الصفات التي تطبع هويته وبالتالي تشكل بنية النص الرحلي.

لذلك فإن تعالقات الذات بالشكل، بالمرجع ثم بالمستوى الإدراكي في الرحلة، تظل حاضرة ومتنوعة⁵⁶. ولا تقف عند محدودية الرقعة الجغرافية.

ويرى "شعيب حليفي" في مؤلفه (الرحلة في الأدب العربي) أن النص الرحلي "ينبغي باعتباره محكيا وتقريراً عن سفارة (رحلة) تؤسس لفعل الحكاية جوار الخطاب، وكذا الحقيقة جوار الكذب المتخيل، حيث كثير من النقاد يبحثون في المحكيات الرحلية عن الحقائق لتقييمها من منظور الكذب والصدق، دون احترام للشكل التعبيري خلال مروره عبر قنوات ما قبل الرحلة، وما يتضمنه من تخيلات وصور وتقييمات، ثم الفعل الرحلي الذي يغيء عكس ما تم تصويره، وأخيراً الاختمار ثم الكتابة التي تصهر كل المراحل"⁵⁷.

الأمر الذي يجعل طريقة بناء الخطاب الرحلي وسيلة لتمييزه عن غيره من الخطابات، حتى لا تحيد الرواية الرحلية من جنس الخطاب الرحلي إلى جنس آخر قد يكون "الخطاب التاريخي، أو الجغرافي، أوهما معا"⁵⁸.

أما في ما يخص خصائص الرواية الرحلية فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ- إن الرواية بصفة عامة والرواية الرحلية بشكل خاص، هي "فن نثري تخيلي بالدرجة الأولى طويل نسبياً بالنسبة إلى القصة، يعكس عالماً من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة، التي تسمح بإدخال جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية فنية (قصص، أشعار، مقاطع كوميدية...) أو غير فنية (نصوص علمية، فلسفية، تاريخية، دينية...) فيه"⁵⁹.

ب- إن الرواية الرحلية "أثر فني معرفي، شأنه شأن القصة أو المسرحية أو الفلم السينمائي... يعتبر فعلاً سردياً بامتياز، يمكن أن نوجز خصائصه في ثنائية المتن الحكائي (الحكاية)، والمبنى الحكائي (الخطاب)، حيث يفرق الدارسون المختصون في السردية أو علم السرد أو السردانية كما يسميها عبد المالك مرتاض (Narratologie)، بين هاذين المفهومين المتداخلين، وهما في أي عمل سردي متلازمان تلازم الدال والمدلول⁶⁰، في الدراسات اللسانية الحديثة، أو الشكل والمضمون في الدراسات البلاغية التراثية، ويمكن التفصيل فيهما كالآتي:

- المتن الحكائي (الحكاية): ويتعلق بـ "المضمون السردى المتمثل في الأحداث المتتابعة للقصة أو الرواية كما جرت في الواقع الحقيقي أو المتخيل، حيث تمثل المادة الأولية للحكاية في أي عمل درامي، تتجسد في متواليات أو برامج سردية (Programmes narratifs)، تنجزها شخصيات أساسية أو ثانوية، حقيقية أو خيالية أو اعتبارية، وفق مسار سردي متدرج متطور"⁶¹.

- المبنى الحكائي (الخطاب): ويتعلق بـ "طريقة أو نظام ظهور هذه الأحداث في الحكى ذاته، فهو بعبارة أخرى الطريقة الفنية التي تحبك بها العقدة الحكائية أو العمل الدرامي؛ أي التشكيل الجمالي الفني للمادة الحكائية، ويتجسد في اختيار تقنيات سردية متنوعة"⁶²، تتعلق بأنماط رؤية الراوي والشخصيات، والتلاعب بالضمائر، والأزمنة والفضاءات المكانية.

وتأسيساً على ما سبق تتجسد طبيعة البنية السردية للرواية الرحلية من خلال التحام المتن الحكائي للرواية، وذلك كمضمون خبري واقعي حقيقي، أو خيالي يغلب عليه الطابع العجائبي في بعض الأحيان، بالتشكيل الجمالي اللغوي، الذي يتمتع المتلقي أو القارئ ويشده إليه بصفة عامة، ويسحره بالجماليات والتقنيات السردية المحققة في المبنى الحكائي للنص السردى. ومهما يكن الأمر -وكخلاصة عامة- فإن مصطلح الرواية الرحلية مصطلح دال على شكل أدبي تعبيرى يصلح أن يمثل بفرادته الأجناسية، "نوعاً أدبياً، له خصوصياته التي تشير إلى إضافة نوع أدبي جديد، من أهم ملامحه تعدد الملامح الشكلية. كما أنه نوع يشبه الرواية في تنوع عوالمه، إذ يستضيف -كما الرواية- كما هائلاً من الأساليب والصيغ والخطابات، ولكنه يختلف عنها من حيث تقنيات السرد التي يهيمن عنصر الزمن وتنوع إيقاعه فيها، ويقترّب من أدب الرحلات السيرة الذاتية وأدب المذكرات من حيث تطابق الراوي والمؤلف وواقعيته، وتختلف عنهما في طريقة التبئير، ففي الرحلة -رغم وجود التبئير- فإن السرد يراعي الموضوعية المرتبطة بمسائل خارجية تتمثل في هدف الرحلة، كذلك فإن مسألة تدوين الرحلة يكون -غالباً- أثناء أو بعد نهاية الرحلة مباشرة؛ خلافاً لأدب المذكرات والسيرة الذاتية التي تتمحور حول استدعاء الذاكرة من قبل المؤلف"⁶³. كما هو الحال في الرواية الرحلية.

خاتمة:

في الختام يمكن القول أن جملة المفاهيم المطروحة في سياق ما تقدمه هذه المقالة، تكشف لنا عن طابع العلاقة الإجناسية القائمة بين أدب الرحلة في شكله التقليدي، المبنى على الوصف الجغرافي، وبين الرواية كجنس نثري قائم على مبدأ الفنية والجمالية في التعبير. تلك العلاقة التي خلقت ما يعد مركز البحث وهو مصطلح الرواية الرحلية العربية المعاصرة.

لقد اكتسبت الرواية الرحلية العربية المعاصرة حيزاً ومكانة مرموقة في الأواسط الإبداعية الحديثة، بخاصة في الأدب، وعلى مستوى الكتابة الأدبية والسردية، وذلك بفعل فرادتها النوعية، وتحملها لجماليات خاصة. تلك الجماليات التي تأتت من انفتاحها غير المشروط واستثمارها -كما هو الأمر في أدب الرحلة- لمعلومات وأخبار متنوعة، شملت مختلف الميادين والتي طبعت بدورها الرحلة التخيلية للرواية، وأعطتها صفة الواقعية وذلك بمعالجتها لأحداث

وأمكنة وشخصيات لها حضور واقعي، فخطاب التخيل في الرواية الرحلية يولد من رحم الواقع.

أما أدبية الرواية الرحلية وشعريتها فتتحقق بتوافر تقنيات مخصوصة للسرد الروائي في الخطاب الرحلي، وليس من خلال اللغة البيانية الجمالية (التعبيرات البلاغية)، أو الوصفية الجغرافية (العلمية) منفردة، وإنما بالتأليف بينهما.

كما أن الرواية الرحلية نص متعدد الأبعاد، البعد الأدبي محدد بتوافر البنى السردية التي هي مقوم أدبيته. وأحد أبعاده الحركة المادية الفعلية للتنقل، والثاني تدوين هذه الحركة في خطاب لغوي، وذلك من خلال استخدام تقنية الوصف التي ميزت أدب الرحلة من غيره من الآداب الأخرى، وهو ما سهل عملية تجنيس أدب الرحلة مع جنس الرواية.

الهوامش والإحالات:

- ¹ ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1956م، ص 05.
- ² نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص 17.
- ^{*} أدب الرحلات: إن صيغة الجمع هنا ليست فقط آلية نحوية أو لازمة إعرابية دالة على الكثرة. وإنما هي أيضا تعدد في النوع والشكل والخصائص والدوافع والمجالات، ما يجعل من الرحلة رحلات.
- ³ عبد الله الركبي، الأعمال الكاملة، المجلد 04، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي، الجزائر، (دط)، 2011م، ص 04.
- ⁴ كمال بولعسل، سيميائية الفضاء في رحلة أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير شعبة السرد العربي القديم، إشراف: يوسف وغليسي، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2005-2006م، ص أ- (المقدمة).
- ⁵ مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة كامل المهندس للطباعة، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص 17.
- ⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 17.
- ⁷ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط1، 1995م، ص 41.
- ⁸ سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995م، ص 14.
- ⁹ محمد يوسف نجم، فن المقالة، الجامعة الأميركية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1966م، ص 116.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص 116-117.
- ^{*} من الغرب مثلاً نجد: المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشوفسكي، والمستشرق الإسباني غايانغوس... إلخ.

- ¹¹ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص 21.
- ¹² المرجع نفسه، ص 21.
- ¹³ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002م، ص 25-26.
- ¹⁴ القرآن الكريم، سورة قريش الآية: 01-02.
- ¹⁵ عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 1999م، ص 07.
- ¹⁶ حسين محمد فهم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع138، 1989م، ص 81.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 81.
- * الرحلة التكليفية: وتعني أن يكلف الحاكم واحداً من كتابه بمهمة رسمية يجوب فيها الآفاق ويودون مشاهداته، وما وصل إليه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أولى الرحلات التكليفية كانت قد بدأت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنها كانت محدودة. ونشير إلى رحلة تميم الداري وهو صحابي ولاء الرسول أرضاً قرب الخليل، وكذلك إلى رحلة عبادة بن الصامت التي قام بها بتكليف من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قاصداً ملك الروم لدعوته للإسلام، أو إيذانه بالحرب.
- ينظر: سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثاً، ص 12.
- ينظر: حسين محمد فهم، أدب الرحلات، ص 100.
- ¹⁸ حسين محمد فهم، أدب الرحلات، مرجع سابق، ص 13.
- ¹⁹ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص 91، 98، 109، 125، 133، 140.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 117.
- ²¹ ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص 85.
- ²² ينظر: فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص 157، 163، 229، 246، 269.
- ²³ كراتشوفسكي اغناطيوس يولييانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ج01، ترجمة: صلاح الدين هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص 190.
- ²⁴ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص 74.
- ²⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 74-75.
- ²⁶ حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، مرجع سابق، ص 13.
- ²⁷ سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، (دط)، 2009م، ص 48.
- ²⁸ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص 335، 338، 355، 384.
- ²⁹ ينظر: عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1995م، ص 14-15.

- ³⁰ نازك سابا يارد، الرحالون العربي وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص 07.
- ³¹ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص 81.
- ³² عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص 11.
- ³³ حسين محمد فهم، أدب الرحلات، مرجع سابق، ص 15.
- ³⁴ للاستزادة ينظر: رفاعه رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم: الصغير بن عمار، موفم للنشر، رغاية، الجزائر، (دط)، 1991م.
- ³⁵ للاستزادة ينظر: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، ط3، 2011م.
- ³⁶ للاستزادة ينظر: سليمان بن صيام، أحمد ولد قاد، محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس 1852-1878-1902م، تحقيق: خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
- ³⁷ حسين محمد فهم، أدب الرحلات، مرجع سابق، ص 90.
- ³⁸ رفاعه رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مرجع سابق، ص 14.
- ³⁹ ينظر: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مرجع سابق، ص 11.
- ⁴⁰ ميداني بن عمر، أدب الرحلة بين التباس المفهوم واستعصاء التجنيس، ندوة الرحلة في الأدب الجزائري صورة الواقع وجمالية المتخيل، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، الجزائر، 19-20 نوفمبر 2017م، ص 01.
- ⁴¹ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع240، ديسمبر 1998م، ص 24.
- ⁴² نازك سابا يارد، الرحالون العربي وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مرجع سابق، ص 09.
- ⁴³ سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب للطباعة، (دط)، (دت)، ص 131.
- ⁴⁴ سعاد نصر الله، تجليات المرأة في تجربة أحمد التوفيق الروائي، نحو منهج إسلامي للرواية، بحوث الملتقى الدولي الخامس للأدب الإسلامي، رقم 37 في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمي، مكتبة البلاد العربية، مراكش، المغرب، 2007م، ص 399.
- ⁴⁵ إدريس الناظوري، الرواية والتاريخ، مجلة المشكاة، المغرب، العدد 38، 2002م، ص 13.
- ⁴⁶ سعاد نصر الله، تجليات المرأة في تجربة أحمد التوفيق الروائي، مرجع سابق، ص 399.
- ⁴⁷ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002م، ص 07.
- ⁴⁸ ينظر: عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي الدورة الثامنة، عالم الخضرة، الخرطوم، السودان، 2018م، ص 09.
- ⁴⁹ عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، مرجع سابق، ص 09.

- ⁵⁰ جوناثان كلر، نحو نظرية لأدب اللانوع، ضمن كتاب: القصة الرواية، المؤلف، دراسة في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، مجموعة مؤلفين، ترجمة: خيري دومة، دار شرقيات، القاهرة، مصر، ط1، 1997م، ص 194.
- ⁵¹ ينظر: تزفيتان تودوروف، الأنواع الأدبية، المرجع نفسه، ص 53.
- ⁵² ينظر: ميداني بن عمر، أدب الرحلة بين التباس المفهوم واستعصاء التجنيس، مرجع سابق، ص 01.
- ⁵³ حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص 06.
- ⁵⁴ ينظر: شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، مرجع سابق، ص 07.
- ⁵⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 07.
- ⁵⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 07-08.
- ⁵⁷ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 07-08.
- ⁵⁸ محمد حاتمي، في خطاب أدب الرحلة، مجلة فكر ونقد، المغرب، السنة 09، العدد 87، مارس 2007، ص 81.
- ⁵⁹ ينظر: أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1، 1997م، ص 21.
- ⁶⁰ ينظر: إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999م، ص 23.
- ⁶¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 24.
- ⁶² ينظر: أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 21.
- ⁶³ ينظر: عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، مرجع سابق، ص 09.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- 1- القرآن الكريم.
 - 2- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999م.
 - 3- إدريس الناظوري، الرواية والتاريخ، مجلة المشكاة، المغرب، العدد 38، 2002م.
 - 4- أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1، 1997م.
 - 5- مجموعة مؤلفين، القصة الرواية، المؤلف، دراسة في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، ترجمة: خيري دومة، دار شرقيات، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.
 - 6- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
 - 7- حسين محمد فهم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع138، 1989م.
 - 8- سعاد نصر الله، تجليات المرأة في تجربة أحمد التوفيق الروائي، نحو منهج إسلامي للرواية، بحوث الملتقى الدولي الخامس للأدب الإسلامي، رقم 37 في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمي، مكتبة البلاد العربية، مراكش، المغرب، 2007م.
 - 9- سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995م.
 - 10- سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، (دط)، 2009م.

- 11- سيد حامد النساخ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب للطباعة، (دط)، (دت).
- 12- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.
- 13- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط4، 1956م.
- 14- عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي الدورة الثامنة، عالم الخضرة، الخرطوم، السودان، 2018م.
- 15- عبد الله الركيبي، الأعمال الكاملة، المجلد 04، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي، الجزائر، (دط)، 2011م.
- 16- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ع240، ديسمبر 1998م.
- 17- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1995م.
- 18- عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 1999م.
- 19- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002م.
- 20- كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانونوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ج01، ترجمة: صلاح الدين هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
- 21- كمال بولعسل، سيميائية الفضاء في رحلة أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير شعبة السرد العربي القديم، إشراف: يوسف وغليسي، جامعة منتوري -قسنطينة، الجزائر، 2005-2006م.
- 22- خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، ط3، 2011م.
- 23- رفاعة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم: الصغير بن عمار، موفم للنشر، رعاية، الجزائر، (دط)، 1991م.
- 24- سليمان بن صيام، أحمد ولد قاد، محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس 1852-1878-1902م، تحقيق: خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
- 25- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة كامل المهندس للطباعة، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- 26- محمد حاتمي، في خطاب أدب الرحلة، مجلة فكرو نقد، المغرب، السنة 09، العدد 87، مارس 2007م.
- 27- محمد يوسف نجم، فن المقالة، الجامعة الأميركية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1966م.
- 28- ميداني بن عمر، أدب الرحلة بين التباس المفهوم واستعصاء التجنيس، ندوة الرحلة في الأدب الجزائري صورة الواقع وجمالية المتخيل، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، الجزائر، 19-20 نوفمبر 2017م.

- 29- نازك سابا يارد، الرحالون العربي وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1992م.
- 30- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط1، 1995م.
- 31- نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.